اللازمة في القرآن الكريم:

المعطى الإيقاعي والمطلب الدلالي

د. عبدالعزيز أيت بها

جامعة زايد- أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة

ملخص:

تشكل اللازمة الإيقاعية آلية من الآليات الأسلوبية والفنية المرتبطة بفن القول منذ نشأته، واللازمة في أعم تحديداتها النقدية "عبارة عن مجموعة من الكلمات أو التراكيب التي تعاد في الفقرات أو المقاطع الشعرية بصورة منتظمة، وقد عرفت بشكل كبير في الأناشيد والتراتيل الدينية القديمة، قبل أن تنتقل إلى مجال الشعر والأدب.

وإذا كانت أغلب الدراسات في هذا الموضوع، على قلتها، منصبة على إيقاع اللازمة في النصوص الشعرية، فإننا في هذا المقال، نهدف إلى البحث عن أشكال وتنويعات اللازمة في الخطاب القرآني، بين المعطى الإيقاعي والمطلب الدلالي، باعتباره نصا نثريا مغايرا للخطاب الشعري، ومتميزا بخصائصه الإيقاعية الفريدة، وقد سلكنا في ذلك المنهج الوصفي التحليلي، بحيث نرصد الأشكال المتنوعة للازمة في القرآن الكريم، ونقف عند وظائفها المختلفة والمتنوعة.

Abstract:

The rhythmic refrain constitutes one of the stylistic and artistic mechanisms associated with the art of speech since its inception. The refrain, in its most general critical definitions, “is a group of words or structures that are repeated in paragraphs or poetic stanzas on a regular basis”. It was widely known in ancient religious chants and hymns, before it was transmitted to the field of poetry and literature.

If most of the studies on this subject, despite their scarcity, are focused on the rhythm of the refrain in poetic texts, then in this article, we aim to search for forms and variations of the refrain in Qur’anic discourse, between the rhythmic given and the semantic requirement, as it is a prose text different from poetic discourse, and distinguished by its unique rhythmic characteristics. And in this study, we followed the descriptive and analytical approach, so that we monitor the various forms of the Refrain in the Holy Qur’an, and stop at its different and diverse functions.

مقدمة:

تشكل اللازمة القولية آلية من الآليات الأسلوبية والفنية المرتبطة بفن القول منذ نشأته، فهي وجه من أوجه التكرار، الذي يعد أحد أهم قوانين الإيقاع الموجودة في مظاهر كثيرة من الحياة اليومية، وأسلوبا من أساليب الإقناع، وعنصرا من عناصر التماسك والانسجام النصي.

وقد عُرفت اللازمة وتم توظيف جمالياتها الفنية– بادئ الأمر– بشكل كبير في مجال الأناشيد الدينية والتراتيل التعبدية القديمة، قبل أن تنتقل إلى مجال فن القول عموما، شعره ونثره، وهذا الانتقال له مبررات عديدة، ترتبط بالقواسم المشتركة بين النصوص الدينية التعبدية، وفنون القول الشعرية والنثرية، خاصة ما يرتبط بصدق العاطفة، والوظيفة التأثيرية الانفعالية.

وإذا كانت أغلب الدراسات التي اطلعنا عليها في هذا الموضوع، منصبة على الوظيفة الإيقاعية للازمة في النصوص الشعرية، فإننا في هذا المقال، **نهدف** إلى مقارنة موضوع اشتغال اللازمة في الخطاب القرآني، بين المعطى الإيقاعي والمطلب الدلالي، باعتباره خطابا مغايرا للخطاب الشعري، متميزا بخصائصه الإيقاعية والنصية الفريدة، كما يجمع بين كونه نصا نثريا من جهة، ودينيا من جهة أخرى.

أما السؤال المؤطر لهذه الدراسة فيمكن صياغته كالآتي: كيف يشتغل نظام اللازمة في القرآن الكريم؟ وما هي أنماطها ووظائفها؟ هل تقتصر على المعطى الإيقاعي، أم تستجيب للمطلب الدلالي الذي يبدأ بتأكيد المعنى، ويمر بتماسك النص، ولا ينتهي بالإقناع والتأثير؟

وقد سلكنا في الإجابة على هذه الأسئلة **المنهج** الوصفي التحليلي، بحيث نرصد الأشكال المتنوعة للازمة في القرآن الكريم، ونبرز أثرها الإيقاعي الجمالي، ونقف عند وظائفها الخطابية. وبناء عليه قسمنا محاور الدراسة إلى ثلاثة محاور تسبقها مقدمة منهجية للموضوع، وتعقبها خلاصة تتضمن نتائج الدراسة:

المحور الأول: تعريف اللازمة وأنواعها.

المحور الثاني: وظائفها.

المحور الثالث: أنماطها.

المحور الأول: تعريف اللازمة وأنواعها

١ –١ تعريف اللازمة:

مصطلح اللازمة مقابل للكلمة الأجنبية (Refrain) التي تعنى الصدى(١)، وقد عرفت في التراتيل والصلوات التعبدية، والآداب والنصوص الدينية القديمة، مثل كتاب "الموتى المصري القديم"، والآيات العبرية واليونانية واللاتينية القديمة، والهتافات القبلية والقصص الشعبية. ويعرفها بعض الدارسين بأنها: "عبارة عن مجموعة من الأصوات أو الكلمات التي تعاد في الفقرات أو المقاطع الشعرية بصورة منتظمة"(٢). ونلاحظ أن هذا التعريف لا يختلف عن التعريف الذي ورد في معجم الأكاديمية البريطانية الإلكتروني المذكور في الهامش أسفله.

وقد وسع بعضهم مدلول هذه المصطلح ليشمل تكرار الصوت الواحد، فقد "لاحظ بعض النقاد المحدثين أن تكرار الصوت الواحد قد يصبح لازمة موسيقية تخرج الصوت عن كونه مجرد جرس مسموع إلى شفرة جمالية تحرك دلالة النص وتكثف ظلاله"(٣). صحيح أن تكرار بعض الأصوات يكون له دلالاته النفسية

١– جاء في معجم الأكاديمية البريطانية الإلكتروني: " A refrain is a phrase, line, or group of liens repeated at intervals throughout a poem, generally at the end of the stanza. Refrains are found in the ancient Egyptian Book of the Dead and are common in tribal chants. They appear in literature as varied as ancient Hebrew, Greek, and Latin verse; popular ballads; and Renaissance and Romantic lyrics" https://academic-eb-com.zulib.idm.oclc.org/levels/collegiate/article/refrain/63036 وهذا النص يشير إلى أن اللازمة هي تكرار للجمل أو العبارات أو السطور في القصائد والأشعار، كما يرصد الحضور الأول لهذه الظاهرة في مجموعة من الكتب الدينية.

٢– موسى ربابعة: التكرار في الشعر الجاهلي: ٤.

٣– صالح ملا عزيز: جماليات الإشارة النفسية: ٢٩١.

وكثافته الصوتية والموسيقية، لكن اعتبار هذا التكرار لازمة فيه بعض التسامح، لأنه لا يخضع لمنطق اللازمة، ولا يبلغ مستوى كثافتها، ولا يحقق وظائفها إلا على المستوى الإيقاعي.

وقد أشار الدكتور محمد الحسناوي، في كتابه "الفاصلة في القرآن"، إشارة طفيفة إلى إيقاع اللازمة في القرآن الكريم، لكنه قيده بالفاصلة، وقد عرّف مصطلح "الفاصلة لازمة" بالقول: "والمراد بالمصطلح التزام النص فاصلة بعينها مخالفة لعدد من الفواصل المتفقة قبل الفاصلة الملتزمة، وهكذا دواليك إلى آخر النص، على أن هذا النوع من الفواصل له أنماط بحسب عدد الفواصل المتفقة قبل الملتزمة(...) وبحسب الحجم الملتزم من القرينة، فقد يكون كلمة الفاصلة، وقد يكون قسما من القرينة مستقلا ضمنها، وقد يكون قرينة بأسرها، أو مقطعا ذا عدد من القرائن"(١).

إن تقييد الحسناوي لإيقاع اللازمة، بربطه بالفاصلة، يُغفل كثيرا من جمالياتها وأشكالها وتنويعاتها في النص القرآني، ولا نوافقه الرأي في ذلك، إلا أن يكون مقصوده اعتبار الفاصلة اللازمة نمطا واحدا من أنماط اللازمة الواردة في القرآن، وهو ما سنبينه في المحور الخاص بأنماط اللازمة.

وإذا كنا نتحفظ من اعتبار الصوت الواحد المتكرر لازمةً، بالمدلول الذي نعتمده في هذا البحث، كما نتحفظ من تقييد هذا المفهوم بِقَصْره على بالفاصلة، فإننا نعتبر اللازمة كل لفظ أو تركيب، طال أو قصر، يتكرر بانتظام في سورة أو أكثر، أو في مجموعة من الآيات القرآنية، بحيث يمنح تلك السور أو الآيات إيقاعا جماليا متميزا، وتماسكا نصيا، وتأثيرا خطابيا، سواء أكان ذلك التكرار في أول الآية أم في وسطها أم في آخرها. وهذا التعريف الذي نقترحه يتميز بكونه يعتمد معايير لتحديد أنواع التكرار وأشكاله تتمثل في الترجيع، والحجم أو الكم، ثم الموقع، ثم الوظيفة.

١- محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن الكريم: ص١٦٠.

١ -٢ أنواع اللازمة:

تختلف أنواع اللازمة بالنظر إلى مجموعة الاعتبارات، أهمها: الكيف والكم والموقع:

١-٢- ١: فمن حيث الكيف: هناك نوعان من اللازمة: "اللازمة الثابتة، وهي التي يتكرر فيها بيت شعري بشكل حرفي، واللازمة المائعة وهي التي يطرأ فيها تغير خفيف على البيت المكرر"(١)، ودون ربط الأمر بالشعر، نلاحظ أن اللازمة **الثابتة** تقوم على ترجيع الجزء المكرر بشكل حرفي، دون إحداث أي تغيير، أما اللازمة **المائعة** فيطرأ فيها تغيير بسيط في الجزء المكرر.

١-٢- ٢: أما من حيث الكم: فيمكن أن تكون اللازمة عبارة عن كلمة واحدة، تتكرر وفق نسق معين، وقد تكون تركيبا من مجموعة من الكلمات، أو مجموعة من الجمل، وقد تكون آية كاملة، وقد تكون مجموعة من الآيات.

١-٢- ٣: ومن حيث الموقع: فيمكن الحديث عن أنواع متعددة من اللازمة، منها اللازمة الفاتحة التي تكون في فواتح السور، أو في بداية كل آية، ومنها لازمة نهاية المقطع والتي تتكرر في نهايات الفواصل(٢)، وأيضا اللازمة التي تجمع بين بداية الآية وفاصلتها، والتي سماها بعض القدماء "ما له علمان علم من أوله وعلم من آخره"(٣)، وسنحرر هذه الأنواع ونمثل لها في محور أنماط الفاصلة.

---

[١]- التكرار في الشعر الجاهلي: ١٦٢.

[٢]- أشار ربابعة إلى هذا النوع من اللازمة في الشعر وسماه تكرار النهاية ويقول عنه: "ويسمى ب Epipher أو ال Epistrophe. وهو عبارة عن تكرار كلمة أو مجموعة كلمات في نهاية أجزاء جمل أو جمل أو فقرات أو أبيات شعرية متعاقبة". ص ١٦٢.

[٣]- ذكره ابن النقيب في مقدمة تفسيره: ص ٢٣٦-٢٣٧.

المحور الثاني: وظائف اللازمة

تؤدي اللازمة في النص القرآني عدة وظائف مركزية، تجعل حضورها أساسيا ومؤثرا ولا يمكن الاستغناء عنه، بيان هذه الوظائف كما يأتي:

٢-١ الوظيفة الإيقاعية:

وهي من الوظائف الجلية والأساسية للازمة، تنتج عن تكرير البنية الصوتية نفسها وترديدها وترجيعها في مسافات زمنية متناسبة، فتحقق بذلك انسجاما وتناغما بين أجراس الحروف ونغماتها، وإيقاع التراكيب وكلماتها، مما يساعد على إبراز جماليات النص القرآني، وتحقيق الانسجام والتناغم بين الكلمات والآيات، كما تساعد في التجويد في القراءة والتلاوة، فهي تخلق لحنا صوتيا وموسيقيا تستطيبه الآذان، ويرتاح له الجنان، يجري على اللسان كما يجري الدهان على حد تعبير الجاحظ.

ولأن القرآن الكريم هو تمام البلاغة ونهايتها، بل هي من وجوه إعجازه، فلا غرابة أن نجده قد وظف إيقاع اللازمة في بعض سوره، وتفنن في أشكاله وتنويعاته، وأبدع في ذلك.

٢-٢ الوظيفة الدلالية:

تتحدد أساسا في **تأكيد المعنى وترسيخه** في ذهن المتلقي، وإيلائه أهمية كبرى، إنها "تعكس **الأهمية التي يوليها المتكلم** لمضمون تلك الكلمات والجمل المكررة باعتبارها مفتاحا لفهم المضمون العام الذي يتوخاه المتكلم"(١).

وتعد الوظيفة الدلالية للازمة الوظيفة المركزية للتكرار في التراث اللغوي والبلاغي العربي القديم، لذلك أولاها القدماء عناية كبيرة في القرآن الكريم، وحاولوا

---

[١]- التكرار.. أهميته وأنواعه ووظائفه ومستوياته في اللغة :علي أسماعيل الجاف، مقال منشور على موقع "تللسقف"، بتاريخ الخميس ٢٧ كانون أول/ ديسمبر ٢٠١٢ ٠٩:٣٤،
. http://www.tellskuf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=24626:aa&Itemid=45

ربط أغلب حالات التكرار في القرآن بهذه الوظيفة(١)، وأدرجوها تحت خانة "التكرار للتأكيد"، يقول ابن جني(ت٣٩٢هـ) "اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له، فمن ذلك التوكيد وهو على ضربين: أحدهما تكرير الأول بلفظه... والثاني تكرير الأول بمعناه"(٢). فالتكرار اللفظي في نظر ابن جني وغيره من القدماء من شأنه تأكيد المعنى وتمكينه في الخطاب، بحيث يدرك المتلقي أهميته ومركزيته في بناء الدلالة، وتوليد المعاني، "وبهذا يصبح التكرار وسيلة إلى إثراء الموقف وشحذ الشعور"(٣).

٢-٣ الوظيفة النصية

برزت هذه الوظيفة بقوة مع لسانيات النص الحديثة، حيث اتفق علماء لسانيات النص على سبعة مرتكزات تحقق نصية النصوص، وهي: القصد، والتناص، والمقامية، والمقبولية، والإخبارية، والانسجام، والتماسك/ الاتساق، وقد ركزوا كثيرا على معيار التماسك والاتساق، في قياس نصية والنصوص، والتمييز بين ما يعد نصا، وما لا يمكن عده كذلك.

ومن الوسائل اللغوية البارزة الكفيلة بحفظ تماسك النص واتساقه: الحذف والاستبدال والإحالة، والوصل، والاتساق المعجمي الذي يشمل التضام والتكرار، وهذا يبين لنا أهمية التكرار بشكل عام واللازمة بشكل خاص، في تحقيق الترابط والتماسك النصي، يقول صبحي الفقي: "فالتكرار، زيادة على كونه يؤدي وظائف دلالية معينة، فإنه يؤدي كذلك إلى تحقيق التماسك النصي، وذلك عن طريق امتداد

---

[١]- انظر على سبيل المثال: بديع القرآن: ١٥١ وما بعدها، والتبيان: ٢٢٧- ٢٢٩، والبرهان في علوم القرآن: ٣/ ١١ فما بعدها، والإتقان: ٣/ ١٩٩ فما بعدها.

[٢]- ابن جني:الخصائص؛ تحقيق: على النجار،دار الكتاب العربي،بيروت، ج٣، ص١٠٢: ١٠٤.

[٣]- موسى ربابعة: التكرار في الشعر الجاهلي، ص ٣٢.

عنصر ما من بداية النص حتى آخره، وهذا العنصر قد يكون كلمة أو عبارة أو جملة أو فقرة، وهذا الامتداد يربط بين عناصر هذا النص"(١).

ومن مظاهر الوظيفة النصية في اللازمة المكررة عند القدماء، ما أشار إليه ابن هشام(ت٧٦١هـ) في قوله: "وذلك كون التكرار الذي هو من سبيل التذكير ليس تأكيدا، إنما هو ضرب من ضروب تحقيق تواصل العهد.."(٢)، فبالإضافة إلى تأكيد المعنى في ذهن المتلقي يقوم التكرار بشكل عام، واللازمة بشكل خاصة، بتحقيق الترابط والتماسك بين أجزاء النص، عن طريق تذكير المتلقي بأول الكلام، وربطا للسابق باللاحق، وتحقيقا لتواصل العهد، على حد تعبير ابن هشام.

وبالجملة فتكرار اللازمة من الأدوات النصية التي تجعل النص وحدة متماسكة ومترابطة من ناحيتي الموضوع والبناء، ويحفظ التلاحم بين أجزائه المختلفة، وسنقف على هذه الوظيفة بالتحليل والتمثيل عند دراسة بعض أنماط اللازمة في النص القرآني.

٢-٤ الوظيفة الحجاجية

لا شك أن اللازمة في النص القرآني لها وظيفة تأثيرية إقناعية، فهي تخلق جوا روحانيا يساعد على الخشوع وتعزيز الإيمان، وتنبيه المشاعر والعواطف والانفعالات، لتقبل نص القول والانفعال به، وقد ذكر القدماء ثلاثا من وظائف

---

[١]- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي: بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠، ج٢، ص٢٢.

[٢]- ابن هشام:مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، محمد على حمد الله، دارالفكر، ١٩٦١، ج١، ص١٦٨، وفي نفس المعنى يقول السيوطي معددا وظائف التكرار: "ومنها إذا طال الكلام، وخشي تناسي الأول أعيد ثانيا تطرية له وتجديدا لعهده". ينظر: الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ج٣، ص٢٢٥. وينظر كذلك: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي والجرجاني، [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)] تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٦م، ص٥٣.

التكرار كلها تنصرف إلى الوظيفة الحجاجية الإقناعية، وهي: زيادة الترغيب في الشيء، واستمالة المخاطب، والحث على الشيء(١).

أما عند المحدثين فنجد إشارات صريحة ودالة على إسهام التكرار بشكل عام، واللازمة بشكل خاص في استمالة المخاطبين وإقناعهم، وفيه يقول أمين الخولي: "إن التكرار من أقوى طرق الإقناع، وخير وسائط تركيز الرأي والعقيدة في النفس البشرية، دون استثارة لِمُخالفيها بالجدل أو المشادة في نظم البرهان، والتعرض البادي للاستدلال"(٢).

إن الإقناع والحجاج عن طريق تكرار اللازمة- كما يبدو- لا يقوم على الأساليب الحجاجية الاستدلالية، ولا يعتمد على أنماط الحجج المنطقية، ولكنه يعتمد على استثارة العاطفة، واستمالة النفس، عن طريق جمالية الصياغة والعبارة، والبناء الإيقاعي والموسيقي للنص، والنفس مجبولة على حب هذا النمط من القول، ويؤكد هذا ما أشارت إليه المستشرقة باربرا جونستون كوتش (J.B. Koch) من أن خطاب الحجاج العربي يعتمد في الإقناع على العرض اللغوي للدعاوى الحجاجية بتكريرها وصياغتها صياغة موازية، وإلباسها إيقاعات نغمية بنائية متكررة، وتسمي هذه الإستراتيجية البلاغية: استراتيجية الإقناع بالتكرير (Repeating)، وبالصياغة الموازية (Rephrasing)، وبإلباس الدعوى وإعادة إلباسها إيقاعات نغمية متغيرة من الكلمات تسميها باسم (استراتيجية العرض) (Presentation)، أي استحضار الشيء أمام الإنسان حتى يتعلق به شعوره(٣).

---

[١]- علي إسماعيل الجاف، مرجع سابق.

[٢]- أمين الخولي: مناهج التجديد في البلاغة والنحو والتفسير والأدب، ص ٢١٠

[٣]- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ٢٠١٤، ص ١٨١.

المحور الثالث: أنماط اللازمة في النص القرآني

لقد تعددت أشكال ورود اللازمة في القرآن الكريم، وتنوعت مظاهرها: فقد تكون كلمة، أو تركيبا، وقد تكون آية، أو مقطعا مكونا من عدد من الآيات، وقد تكون فاتحة من فواتح السور، وقد تكون نمطا يتكرر في مطلع الآية ومقطعها، وهو ما اصطلح عليه بعض البلاغيين ب: "ماله علمان: علم من أوله وعلم من آخره"، فهذه ستة أنماط كبرى رصدناها لتشكيل اللازمة في النص القرآني، وسنورد نماذج دالة لكل نمط، دون القصد إلى الإحصاء والاستقصاء، مع الإشارة إلى ما ينهض به من وظائف في سياقه القرآني.

٣-١- الكلمة اللازمة:

إن لهذا النوع من اللازمة نماذج كثيرة في متن القرآن الكريم، وهي في غالب الأحيان تكون من نوع اللازمة المائعة التي لا تلتزم موقعا محددا في الآية، وإن كان بعضها يرد في بالتحديد في بداية الآية أو فاصلتها، ولعل أجلى نماذج الكلمة اللازمة المائعة، تكرار كلمة (ربنا) وترجيعها في مقام الدعاء، وقد ورد في كثير من أدعية القرآن، كقوله تعالى: **رَّبَّنَا** إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا **رَبَّنَا** فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ **رَبَّنَا** وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ}[آل عمران:١٩٣-١٩٤] وقوله تعالى: {**رَبَّنَا** وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ **رَبَّنَا** وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ} [البقرة:١٢٨-١٢٩ وكذلك قوله عز وجل: {لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ **رَبَّنَا** لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا **رَبَّنَا** وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا **رَبَّنَا** وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٨٦] وقوله سبحانه: {وَقَالَ مُوسَى

رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا **رَبَّنَا** لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ **رَبَّنَا** اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ} [يونس:٨٨]، "ولا يخفى على الباحث أن ترديد (ربنا) الذي هو كاللازمة الموسيقية تتكرر في بداية كل ابتهال، يزيد من إطالة الدعاء، وتنغيم النبرات، وفيه إشارة نفسية منشؤها الاسترسال مع الموقف، وشفافية الروح وصدق الرغبة في الاتصال مع الله"([1]).

إن هذه اللازمة تجمع بين ثلاث وظائف أساسية، فهي من جهة تمنح العبارة ترجيعا موسيقيا وإيقاعا صوتيا، يزيد من إطالة الدعاء، وتخلق في العبارة لذة سمعية، ومن جهة أخرى تمنح الداعي راحة نفسية، وتعطي الدعاء كثافة دلالية، تركز كل معاني الخضوع والتذلل في الدعاء لمقام الربوبية، والإخلاص في التوجه والإنابة إليه، فالدعاء بتكرار كلمة ربنا يجعل الداعي موقنا بأن ربه لن يخذله، ولن يرد مسألته، ف"ترجيع (ربنا) في ثنايا الدعاء يخلق توافقا صوتيا بين المقاطع النصية، ويؤدي دلالة نفسية بارزة من حيث الإشارة إلى شدة التضرع إلى الله والاستغراق في الابتهال والاسترسال في المعراج الروحي إلى السماء"(٢). ومن جهة ثالثة فهو يسهم في ترابط وتماسك الآيات القرآنية التي يتصدرها أو يتخللها بحيث يمنحها وحدة الموضوع.

وهناك أيضا تكرار لازمة (يا قومِ) في سياق القصص القرآني في سورة هود، فهي تتكرر مرتين إلى ثلاث مرات في قصة كل من نوح وهود وصالح وشعيب عليهم أفضل السلام، يقول تعالى في قصة نوح: {قَالَ **يَا قَوْمِ** أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا

---

[1]- جماليات الإشارة النفسية: ٢٩٩.

[2]- نفسه: ٣٠٨، وفي هذا السياق تشير الباحثة بهية بنت حامد اللحياني إلى أنه "قد كثر في الدعاء القرآني تكرار لفظ (ربنا) ومن أسراره: ١- إظهار المبالغة في الضراعة والاستعطاف(....)٢-وقد يكون تكرار النداء ب(ربنا) لإظهار التأكيد." انظر:الدعاء في القرآن الكريم:أساليبه ومقاصده وأسراره:٢٦٠،٢٦١.

كَارِهُونَ(٢٨) **وَيَا قَوْمِ** لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ(٢٩) وَيَا **قَوْمِ** مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} [هود: ٢٨-٣٠]، وقال عز وجل في قصة هود من السورة نفسها: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ **يَا قَوْمِ** اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ(٥٠) **يَا قَوْمِ** لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ(٥١) **وَيَا قَوْمِ** اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ} [هود: ٥٠-٥٢]، وهكذا في القصص الأخرى الوارد في هذه السورة.

نلاحظ هنا أن تكرار لازمة (يا قوم) من نوع اللازمة الثابتة، بحيث يرد عادة في بداية الآية/الجملة، ويؤدي تكرار هذه اللازمة في سياق سورة هود، بالإضافة إلى قيمته الإيقاعية ووظيفته النصية التي تسهم في الترابط بين قصص المرسلين، يؤدي وظيفة إقناعية، حيث تتضمن استمالةً للأقوام المخاطبة وترغيبا لها في قبول الحق واتباع الهدى الذي جاء به النبي المرسل في كل قصة، فهي تشير إلى أن وحدة الحال التي تدل عليها قيمة القومية الجامعة بين الأنبياء وأقوامهم، تفرض عليهم وحدة المآل التي يدعونهم إليها. كأن رسولهم يقول لهم في كل مرة: أنتم أهلي وعشيرتي وعُصبتي، وأنا واحد منكم، فأجيبوا دعوتي واقبلوا نصيحتي، ولا تتولوا مدبرين.

٣- ٢- التركيب لازمة:

يعتمد هذا النمط من اللازمة على تكرار تركيب مكون من كلمتين فأكثر، وغالبا ما ينتمي إلى نوع اللازمة الثابتة، حيث يتموقع هذا التركيب في موقع متميز إما بداية الآية أو فاصلتها، وهو ما يمنحه توزيعا فضائيا فريدا، وحضورا صوتيا ودلاليا متميزا، وله نماذج كثيرة في النص القرآني نذكر منها:

تركيب (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) في سورة الكهف، حيث تكررت هذه اللازمة بشكل ثابت أو مائع في الآيات: ٦٧ – ٧٢– ٧٥– ٧٨ – ٨٢. وقد منح ترديد هذه اللازمة قوة إيقاعية، ونمطا صوتيا موسيقيا متناسبا لهذه الآيات، بالإضافة إلى تحقيق وحدة النص وانسجامه، حيث جاءت كلها في سياق قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وشكلت ما يشبه بؤرة مركزية للقصة، تعود إليها في نهاية كل فصل من فصولها، فقد وردت في بداية القصة عندما طلب موسى عليه السلام من الخضر أن يعلمه مما علمه الله، فقال له الخضر (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)(٦٧)، وبعد حادثة خرق السفينة استغرب موسى من فعل الخضر، فكرر عليه قوله(إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)(٧٢)، ثم بعد أن قتل الخضر الغلام، يستنكر عليه موسى مرة أخرى، فيأتي رد الخضر (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)(٧٥)، وفي الواقعة الثالثة يقرر الخضر تقويم سور مشرف على الانهيار في القرية التي رفضت ضيافتهما، لكن موسى لم يستسغ هذا القرار، فاستغرب له، فجاءه الجواب من الخضر: (هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)(٧٨)، وبعد أن أبلغ الخضر موسى عليه السلام بالحكمة الربانية، والعناية الإلهية، الكامنة وراء هذه الوقائع الثلاثة، يختم قوله باللازمة معلنا نهاية الفصل الأخير من القصة (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)(٨٢).

أما الوظيفة الدلالية لهذه اللازمة، فقد أدت مهمة المثير الدلالي الذي يجذب إليه انتباه المتلقي، للدلالة على أن الإنسان في علاقته مع الوجه الخفي للأحداث والأقدار قليل الصبر عديم الخبرة، والحال أنه يجب أن يتصف بالإيمان واليقين بحكمة الله، كما أنه يحتاج إلى صبر طويل ومتجدد مع كل حادثة أو مصيبة.

٣-٣- الآية اللازمة

ويعد هذا الشكل من اللازمة أقوى من السابق لكونه يقوم على ترجيع آية كاملة، وكلما كان كمّ اللازمة طويلا، وعدد مرات تكرارها كبيرا، كلما كان أثرها ووقعها في نفس المتلقي وسمعه أقوى وأشد، ونحن نلاحظ أن بعض السور تعتمد

على إيقاع الآية اللازمة بشكل كامل، من بداية السورة حتى نهايتها، كما في سورة الرحمان، والمرسلات، في حين نجد بعض السور تعتمد آية معينة لازمة في جزء منها، وآية أخرى في جزء آخر، كسورتي الشعراء والصافات.

فقد التزم التعبير القرآني في سورة الرحمن بآية كاملة، من بداية السور إلى آخرها، وهذه الآية هي قوله تعالى: (فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، وعدد مرات تكرارها يفوق ثلث آيات السورة، إذ تكررت واحدا وثلاثين مرة من أصل ثمان وسبعين آية، فهي "تكاد تتردد بعد كل آية أو اثنتين تردد اللازمة في الأناشيد الشعرية، أو الفاصلة الموسيقية"(١).

أما وظيفتاها الدلالية والحجاجية فقد أشار إليها المفسرون وعلماء القرآن والبلاغة في تفسير هذه السورة، ومن ذلك قول ابن قتيبة(٢٧٦هـ): "فإنه عدد في هذه السورة نعماءه وذكّر عباده آلاءه، ونبههم على قدرته ولطفه بخلقه، ثم أتبع ذكر كل خلة وصفَها بهذه الآية، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين ليفهمهم النعم ويقررهم بها"،(٢) ومنه أيضا ما ذكره الطيبي(٧٤٣هـ) من أن تكرار اللازمة في سورة الرحمان ورد "على التنبيه وقرع العصا على ما يتكرر معها من نعمة ليتكرر ما يستوجبه من الشكر"(٣). حيث يلفت هذا التكرار انتباه المتلقي إلى تعدد الآلاء التي تستوجب تجدد الشكر، ليقنعه عن طريق الاستفهام الإنكاري (فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، أن هذه النعم كثيرة متكررة ومتجددة تجدد اللازمة، وكما أنها غير قابلة للإنكار، فكذلك شكرها واجب الاعتبار.

---

[١]- الحسناوي: الفاصلة في القرآن: ١٦١.

[٢]- ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن: ص ١٥١.

[٣]- الطيبي: التبيان في البيان: ٢٢٧.

يبدو أن تركيز القدماء العرب على المستوى الدلالي للتكرار، جعلهم يهملون الوظيفة الإيقاعية لهذه اللازمة على الرغم من بروزها، فلا يخفى أنها "أضفت على النص القرآني الممثلة فيه هالة من الجمال الإيقاعي المعجز، فهي رغم ورودها إحدى وثلاثين مرة إلا أن القارئ لا يشعر برتابة أو تكرار ممل كلما رام إلى قراءة هذه السورة التي قيل عنها عروس القرآن، وحسبها أن تكون كذلك"(١).

أما الوظيفة النصية فواضحة جلية، وقد ألمح إليها السيوطي (ت٩١١هـ) عندما ذكر أن من التكرار "ما كان لتعدد المتعلق، بأن يكون المكرر ثانيا متعلقا بغير ما تعلق به الأول(...) وجعل منه قوله تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فإنها وإن تكررت نيفا وثلاثين مرة، فكل واحدة تتعلق بما قبلها..." (٢). فهذه اللازمة تجعل سورة الرحمن وحدة بنائية متماسكة، وقالبا لغويا متكاملا ومتناسقا، فآياتها تشكل دوائر منتظمة ومترابطة فيما بينها، بفضل اتصالها بالآية اللازمة، وما إن تنتهي دائرة حتى تبدأ دائرة جديدة، لها نفس البؤرة المركزية التي هي اللازمة.

أما في سورة المرسلات فالبنية الإيقاعية للآية اللازمة: {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}، تختلف عن تشكيل لازمة سورة الرحمان، فعلى الرغم من أنها تكررت عشر مرات فقط في السورة البالغ عدد آياتها خمسون آية، إلا أن أثرها الإيقاعي بارز جدا، لأنها ترد بمثابة القفل الموسيقي بعد مقطع مؤلف من آية إلى خمس آيات. وهذا التكرار يقرع الآذان ويهز نفوس المكذبين بهذا الوعيد المتردد في كل لحظة، ويحملهم على الإيمان والتسليم.

وقد أجمل عبد الكريم الخطيب توصيف دينامية إيقاع اللازمة في هذه السورة في قوله: "ولكن الذي فات هذه السورة من اتحاد الفاصلة استعيض عنه بتقسيم السورة إلى مقاطع، كل مقطع منها يمثل وحدة من النغم... في توازن الآيات،

---

[١] – مزاري شارف: جمالية التلقي في القرآن: ١١٨.

[٢] – جلال الدين السيوطي: الإتقان: ٣/٢٠٠-٢٠١.

وتماثل الفواصل! فكان هذا العمل المحكم عاملا حاسما في إقرار الآية المكررة بين آيات السورة في وضع مطمئن مكين.

ومن التدبير الذي قامت عليه هذه السورة أن آياتها الأولى، وهي أربع عشرة آية لم تذكر فيها الآية المكررة، هذه الآيات لم تجئ على نسق واحد من النظم، ولا على وحدة واحدة من الفواصل... بل جاءت على مقاطع، كل مقطع منها يمثل حالا من أحوال النظم، على نحو ما ستكون عليه صورة النظم بعد أن تدخل عليه الآية المكررة... حيث جاء على مقاطع، كل مقطع يمثل وحدة من وحدات النغم الموسيقي للسورة كلها.."(١).

٤-٣ المقطع اللازمة

يتكون **المقطع اللازمة** من آيتين إلى ست آيات، وهو من أكثر أنماط اللازمة زخما إيقاعيا، وتنغيما موسيقيا، وقد ورد في سور القمر والصافات والشعراء.

تأتي اللازمة في سورة القمر مكونة من آيتين مجتمعتين -غالبا- أو مفصولتين نادرا، وهما قوله تعالى: (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ(١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ(١٧))، وقد تكررت أربع مرات في السورة كلها، ومن بديع تدبير اللازمة في هذه السورة أنها جاءت قفلا وتعقيبا بعد كل قصة من قصص الأنبياء وأقوامهم المذكورة في السورة، وهم على الترتيب: قوم نوح، وقوم عاد، وقوم ثمود، وقوم لوط، قبل أن تختم السورة بذكر قوم فرعون. فجاءت على شكل دوائر إيقاعية مفتوحة تربط بين هذه القصص، يقول السيد قطب: "وهي مقسمة إلى حلقات متتابعة، كل حلقة منها مشهد من مشاهد التعذيب للمكذبين، يأخذ السياق في ختامها بالحس البشري فيضغطه ويهزه ويقول له: (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ)... ثم يرسله بعد الضغط والهز ويقول له: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)"(٢).

١- عبد الكريم الخطيب: إعجاز القرآن الكريم: ١/ ٤٠٢-٤٠٣.

٢- سيد قطب: في ظلال القرآن :٦/ ٢٤ ٣٤.

وإذا علمنا أن الفاصلة في سورة القمر موحدة من أولها إلى آخرها، تبين لنا أن اللازمة وحدها هي التي تنهض بالتقسيم الإيقاعي لمقاطع السورة، فاللازمة هنا كأنها تعلن انتهاء مقطع من مقاطع السورة المتسلسلة، ليبدأ مقطع جديد، في أريحية وسلاسة، لأنها تضيف إلى توازن الفقرات والآيات توازنا آخر بين كل مقطع من مقاطعها، "إن القراءة القرآنية لسورة القمر بقصصها الخمس مع إضافة اللازمة تكون مريحة خالية من الإجهاد والتعب في النطق وذلك يرجع بالأساس إلى توازن الفقرات فيها، ما يساعد على الراحة ويبعث على تجدد الأنفاس والإقبال على القراءة مجددا. وقد يرجع هذا أيضا إلى إحكام اللازمة وإشرافها بحضورها القوي على الفقرات قبلها وبعدها"(١).

أما في سورة الشعراء، فعلى الرغم من طول السورة البالغ عدد آياتها مائتان وسبع وعشرون آية (٢٢٧)، فإن إيقاع اللازمة وتشكيلها الصوتي يهيمن على إيقاع السورة، لأنها تجمع آيتين تردان عقب كل قصة من القصص المذكورة في متن السورة، فبعد مقدمة من سبع آيات، وردت اللازمة للمرة الأولى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(٩)﴾، ثم جاءت قصة نبي الله موسى مع قوم فرعون في ست وخمسين آية، ثم جاء التعقيب باللازمة ليقفل قصة موسى، ولتبدأ بعدها قصة إبراهيم مع قومه في ثلاث وثلاثين آية، وبعدها يأتي التعقيب باللازمة. وهكذا دواليك في المقاطع الأخرى التي وردت فيها قصة نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وقوم شعيب.

ومن عجيب النظم الإيقاعي للازمة في هذه السورة، أنها تزداد حجما وكمًّا كلما تقدمنا في قراءة السورة، فبعد أن كان حجم اللازمة آيتين فقط في بداية السورة، نجدها تتطور وتكبر انطلاقا من قصة نوح عليه السلام لتصبح ست آيات بدل

---

[١]- شارف مزاري: جمالية التلقي في القرآن: ١٢٦.

آيتين، مع تغيير طفيف(١)، وهي قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(١٠٤) كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ(١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ(١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٠٧) فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ(١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)(١٠٩).

إن هذه اللازمة على غرار مثيلاتها في السور الأخرى، تجمع بين المطلب الإيقاعي، الذي يتمثل في تقسيم السورة إلى مقاطع موسيقية، وترجيع التشكيل الصوتي نفسه عقب كل مقطع، وبين المطلب الدلالي الذي يتجلى في الحث على أخذ العبرة، والاتعاظ من آيات الله وقدرته وعزته وجبروته وحكمته في الأقوام الكافرة والمكذبة، والدلالة على وحدة الرسل والرسالات السماوية، هذا بالإضافة إلى وظيفتها في الربط النصي بين هذه القصص السبع التي وردت في السورة، وإسهامها في التأثير الإقناعي للخطاب، فتكرار هذه اللازمة بعد كل قصة يجعل المتلقي موقنا ومقتنعا بمضمونها، وبمضمون ما قبلها وما بعدها من القصص.

والأمر نفسه يمكن قوله عن سورة الصافات التي تحتوي نوعين من اللازمة، مثلها مثل سورة الشعراء، حيث نجد ترجيع الآية اللازمة (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) خمس مرات على طول السورة البالغ عدد آياتها مائة واثنتان وثمانون آية، في الآيات: ٤٠-٧٤-١٢٨-١٦٠، وفي الآية ١٦٩ ترجيع الآية اللازمة مع تغير (إلا) ب (لكنا). كما نجد ترجيع اللازمة المقطع عقب قصص الأنبياء الواردة فيها على هذه الشاكلة: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ(٧٨) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ(٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ(٨١) ، وقوله تعالى: (وَتَرَكْنَا

---

[١]- انظر: الفاصلة في القرآن: ١٦٢، حيث يعلق محمد الحسناوي على هذا الملحظ الإيقاعي بقوله: "أما المقطع الملتزم في سورة الشعراء، فلم يقتصر على آيتين أو ثلاث، بل يصل إلى ست آيات مع تغير طفيف يلائم السياق (...) واقتصر التغير – برغم التكرار خمس مرات- على "قوم ثمود" و"أخوهم صالح" و"قوم لوط" و"أخوهم لوط" و"أصحاب الأيكة" و"أخوهم شعيب""

عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ(١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ(١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ(١١١))، تعقيبا على قصة إبراهيم مع قومه وابنه إسماعيل، وقوله تعالى: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ(١١٩) سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ(١٢٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ(١٢٢))، تعقيبا على قصة موسى وأخيه هارون، وقوله تعالى: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ(١٢٩) سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ(١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ(١٣٢))، تعقيبا على خبر نبي الله إلياس.

٥- اللازمة الفاتحة:

هناك عدد كبير من السور القرآنية التي يجمع بينها ما أسميناه باللازمة الفاتحة، هذه اللازمة في العادة تكون مائعة، أي يحدث فيها تصرف بسيط في الألفاظ بحيث تتناسب مع السورة التي ترد فيها، وقد جمعت هذا النمط من اللازمة في جدول توضيحي يبين نص اللازمة، والسور التي تكررت فيها، والتغيير الطفيف الذي طرأ عليها:

الرقم	اللازمة الفاتحة	السورة
١-	الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١)	يونس
	الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)	هود
	الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١)	يوسف
	المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ	الرعد
	الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ	إبراهيم
	الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ (١)	الرعد
٢- الحواميم + الزمر	تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١)	الزمر
	حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢)	الجاثية
	حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢)	الأحقاف
	حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢)	غافر

	حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣)	فصلت
	حم (١) عسق (٢) كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)	الشورى
	حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣)	الزخرف
	حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ(٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣)	الدخان
٣- المسبحات	سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)	الحديد
	سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)	الحشر
	سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)	الصف
	يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١)	الجمعة
	يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)	التغابن
	سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى	الاسراء
	سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١)	الأعلى
٤-	قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١)	الكافرون
	قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (١)	الإخلاص
	قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)	الفلق
	قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)	الناس

٥- **الطواسين**	طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)	الشعراء
	طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١)	النمل
	طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)	القصص
٦ - الحواميد	الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)	الفاتحة
	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١)	الكهف
	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١)	سبأ
	الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)	فاطر

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن هذه اللازمة:

- عادة ما تكون بين سور متتابعة أو متقاربة في ترتيب سور النص القرآني، وإذا استحضرنا أن هذا الترتيب توقيفي، تبين لنا مدى مراعاة هذا الجانب.
- لا شك أن هذه اللوازم لها وظيفتها الإيقاعية التي يكفلها التكرار الصوتي، خاصة إذا أضفنا له عنصر الفضاء أو الموقع الذي هو فاتحة السورة.
- كما أن هذه اللازمة تنهض بوظيفة نصية تتجلى في الترابط والتماسك والتناسب والانسجام بين السورة التي تشترك في لازمة واحدة، حيث تشكل وحدات متلاحمة ومتناصة بينها.
- بالإضافة إلى هذا، هناك قواسم موضوعية تجمع بين هذه السور حيث تتناول موضوعات متشابهة أومشتركة، فعلى سبيل المثال تشترك السور المسبحات – مع تفاوت بسيط- في موضوعات محددة، أهمها: القتال والإنفاق في سبيل الله، والتعريض بأهل الكتاب، وحقيقة الحياة الدنيا حيث الانتباه إلى خطورة الانغماس في لهوها وملذاتها، بينما تتفق سور الكافرون والإخلاص والمعوذتين في

موضوعات توحيد الله وتنزيهه عن الشريك والولد، وتنزيه النبي عن عبادة غير الله، والالتجاء إلى الله وطلب العون منه في مواجهة شرور الخلق من الجنة والناس. أما موضوعات الحواميم فتشترك في تنزيل القرآن وصفاته، وذكر النعم الإلهية، وقصص الأنبياء والأمم السابقة، والإيمان والكفر، وذكر بعض مشاهد القيامة...

٤ -٦ اللازمة في مطلع الآية وفاصلتها:

أدرج ابن النقيب هذا النوع من اللازمة في مقدمة تفسيره ضمن باب "التطريز"، واصطلح على تسميته بـ"ماله علمان: علم من أوله وعلم من آخره" وفي ذلك يقول: "قال علماء البيان: التطريز هو أن تأتي قبل القافية بسجعات متناسبة فيبقى في الأبيات أواخر الكلام كالطراز في الثوب (...) وقد استقريته من الكتاب العزيز وأشعار المولدين فوجدته على ثلاثة أقسام: الأول ما له علمان: علم من أوله وعلم من آخره. والثاني ما له علم من أوله. والثالث ما له علم من آخره"(١).

وقد مثل ابن النقيب لهذا الضرب من اللازمة بقوله تعالى في سورة الروم:

- ***وَمِنْ آيَاتِهِ*** أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ***إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ*** يَتَفَكَّرُونَ،

- ***وَمِنْ آيَاتِهِ*** خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ***إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ*** لِّلْعَالِمِينَ،

- ***وَمِنْ آيَاتِهِ*** مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ ***إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ*** لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ،

- ***وَمِنْ آيَاتِهِ*** يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاء فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ***إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ*** يَعْقِلُونَ،

١- مقدمة تفسير ابن النقيب: ٢٣٦-٢٣٧.

- ***وَمِنْ آيَاتِهِ*** أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ} [٢١-٢٥].

وقوله تعالى في سورة النمل:

- ***أَمَّنْ*** خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ***أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ*** هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ،

- ***أَمَّن*** جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ***أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ*** أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

- ***أَمَّن*** يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ ***أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ*** قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ،

- ***أَمَّن*** يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، ***أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ*** تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ،

- ***أَمَّن*** يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ ***أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ*** قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [٦٠-٦٤].

إن هذه الآيات من سورتي الروم والنمل، تقوم على ميزان موسيقي إيقاعي ضابطه هاته اللازمة التي تشده من أوله ومن آخره على هذه الشاكلة:

- ومن آياته.....إن في ذلك لآيات....
- أمن+ فعل.....أإله مع الله،....

ولا يخفى ما في هذا التوزيع من التلوين الصوتي والترجيع الموسيقي الآسر للسمع والنفس، وقد علق الحسناوي على آيات الروم بالقول: "وفي ذلك ما فيه من توحيد الإيقاع الموسيقي في الوحدات-الآيات، ومن تلوين الآية بما يشبه ترجيع الإيقاع والصدى في البداية والنهاية"(١).

١- الفاصلة في القرآن: ٢٥٥.

ومن نماذج هذه اللازمة أيضا ما ورد في سورة مريم في سياق قصص الأنبياء، حيث تفتتح هذه القصص بنفس اللازمة، وهذا يجعل منها سلسلة مترابطة في النص كما هي في الواقع، فرسائل الأنبياء واحدة ومتسلسلة يكمل بعضها بعضا:

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مريم (١٦)

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ **صِدِّيقًا نَبِيًّا** (٤١)

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ **رَسُولًا نَبِيًّا** (٥١)

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ **رَسُولًا نَبِيًّا** (٥٤)

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ **صِدِّيقًا نَبِيًّا** (٥٦)

ومن أمثلته أيضا ما جاء في سورة الواقعة، من قوله تعالى:

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠)

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥)

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠)

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ(٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ(٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (٧٣)

خاتمة :

هكذا يتضح لنا الأثر الجليل الذي تؤديه اللازمة في بناء النص القرآني الكريم ونظمه، ووظائفها المهمة في الإيقاع والدلالة والنظم والحجاج، ولعل فيما ألمحنا إليه من بنياتها وأنماطها وما تحمله من معاني، ما يحفز الباحثين على استقصاء تجلياتها وفنونها وطرائق اشتغالها في النص القرآني، وقد خلصنا من هذا البحث إلى النتائج الأساسية الآتية:

- تتعدد أنواع اللازمة في النص القرآني، بين اللازمة الثابتة، كما وموقعا، والمائعة، التي يتغير نصها وحجمها وموقعها، حسب وظيفتها، وسياقها.
- رصد البحث ستة أنماط من اللازمة في القرآن وهي: اللازمة الكلمة، واللازمة التركيب، واللازمة الآية، واللازمة المقطع، واللازمة الفاتحة، واللازمة التي تجمع بين مطلع الآية وفاصلتها.
- تنهض اللازمة في النص القرآني بأربع وظائف متظافرة:

- أُولَاها وأجلاها الوظيفة الإيقاعية، بما تضفيه من تناسب صوتي إيقاعي على السياقات والسور التي وردت فيها.
- ثانيتها الوظيفة الدلالية بحيث تجعل المقطع المكرر بؤرة دلالية مركزية يتمحور حولها المعنى الكلي للآيات والسور التي يرد فيها.
- ثالثتها الوظيفة النصية، فهي عنصر من عناصر الترابط والتماسك النصي، تكفل للنص القرآني ترابطه ووحدته على مستوى الشكل والمضمون.
- رابعتها الوظيفة الإقناعية، وقوامها التأثير في نفس المتلقي واستمالة وجدانه بالإلحاح في تكرار اللازمة حتى حصول الإذعان.

- كلما كان كمّ اللازمة طويلا وعدد مرات تكرارها كبيرا، كلما كان أثرها ووقعها في نفس المتلقي وسمعه أقوى وأشد.

- إيقاع اللازمة يبلغ مداه في السور التي تحتوي على لازمة مترددة من بداية السورة حتى نهايتها، سواء كانت هذه اللازمة تركيبا أو آية أو مقطعا من مجموعة من الآيات.
- هناك عدد كبير من السور القرآنية التي يجمع بينها ما أسميناه باللازمة الفاتحة، وهذه السور عادة ما تكون متتابعة أو متقاربة في ترتيب المصحف، حيث تشكل وحدات متلاحمة ومترابطة ومتناصة بينها. كما يكون بينها قواسم موضوعية تجمع بينها حيث تتناول موضوعات مشتركة ومتشابهة.
- كثيرا ما ترد اللازمة في السور التي تسرد قصص الأنبياء، لتكون رابطا بينها، وتدل على وحدة رسالاتهم، وتشابه ردود أفعال أقوامهم، وكذا اتحاد مصير المؤمنين منهم، واتحاد مصير المكذبين أيضا.
- لا نكاد نعثر على اللازمة التي تتجاوز الكلمة في السور الطوال، بل أغلب ورودها في المئين والمثاني والمفصل، وهذه السور تتميز بإيقاع سريع في آياتها، وتغلب عليها موضوعات القصص والمواعظ، والتوحيد والعقائد، بخلاف موضوعات الأحكام والمعاملات التي تميز السور الطوال.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- ابن أبي الإصبع المصري(ت٦٥٤هـ): بديع القرآن، تحقيق: حنفي محمد شرف، نهضة للطباعة والنشر، (د.ت).
- ابن النقيب (ت٦٩٨هـ): مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع، كشف عنها وعلق حواشيها زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
- ابن جني(٣٩٠هـ): الخصائص؛ تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
- ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ): تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٨٦.
- ابن هشام(٧٦١هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، محمد على حمد الله، دار الفكر، د. ط، ١٩٦١.
- الجاف علي إسماعيل: التكرار.. أهميته وأنواعه ووظائفه ومستوياته في اللغة، مقال منشور على موقع "تللسقف tellskuf"، بتاريخ الخميس ٢٧ كانون الأول، ديسمبر ٢٠١٢ ٠٩:٣٤،
- http://www.tellskuf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=24626:aa&Itemid=45 .
- الحسناوي محمد: الفاصلة في القرآن الكريم، المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمار، عمان، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- الخطيب عبدالكريم: إعجاز القرآن، الإعجاز في دراسات السابقين، دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٨٤.
- الخولي أمين: مناهج التجديد في البلاغة والنحو والتفسير والأدب، دار المعرفة، ط١، ١٩٦١.

- ربابعه موسى: التكرار في الشعر الجاهلي، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤته (الأردن)، المجلد٥، العدد١، ١٩٩٠م.
- الرماني والخطابي والجرجاني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، [سلسلة: ذخائر العرب(١٦)]، دارالمعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م.
- الزركشي بدر الدين (ت٧٩٤هـ): البرهان في علوم القرآن: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط١، ١٩٥٧م.
- السيوطي جلال الدين(٩١١هـ): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤ م.
- الطيبي، الحسين بن محمد (ت٧٤٣هـ)، التبيان في علم البيان: دار البلاغة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م.
- العبد محمد:النص والخطاب والاتصال،الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي،٢٠١٤.
- الفقي صبحي إبراهيم: علم اللغة النصي: بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٠.
- قطب سيد: في ظلال القرآن، دار الشروق، ط١١، ١٩٨٥م.
- اللحياني بهية بنت حامد: الدعاء في القرآن الكريم، أساليبه ومقاصده وأسراره: وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى كلية اللغة العربية، ٢٠٠١م.
- مزاري شارف، جمالية التلقي في القرآن الكريم، أدبية الإيقاع الإعجازي نموذجا: سلسلة الدراسات (١٥)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٩م.
- معجم الأكاديمية البريطانية الإلكتروني:

https://academic-eb-com.zulib.idm.oclc.org/levels/collegiate/article/refrain/63036

- ملا عزيز صالح: جمالية الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، دار الزمان، دمشق، ط١، ٢٠١٠م.